



قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾
[الإسراء: ١١٠].

نبينا ﷺ كان إذا كربه أمر قال: «يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ! بِرَحْمَتِكَ
أَسْتَغِيْثُ» حديث حسن. رواه أحمد في «المسند»، كيف لا يستغاث بالرحمن؛
وهو الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة؟
فهو سلوة الطائعين، وملاذ الهارِبين، وملجأ الخائفين؛ إنه أرحم
الراحمين.

إِلَيْهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَابُ
وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالْمُؤْمِلُ خَائِبٌ
﴿وَاللَّهُمَّ! إِلَهَ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

الرحمة: سمة الربوبية، وعنوان الألوهية؛ ولذلك وصف ﷻ نفسه
بأنه: الرحمن الرحيم.

ونحن نبتدئ تلاوتنا لكتاب الله بهذين الاسمين العظيمين الحبيبين
إلى النفس: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).



هذان الاسمان الكريمان مشتقان من (الرحمة) على وجه المبالغة.
والرحمة في اللغة هي: الرقة، والشفقة، والعطف والرافة.

فربنا ﷻ ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَلْتَمِسُ لِرَأْفِ رَحِيمِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل ﴿وَكَانَ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فربنا "الرحمن" ﷻ أي: الرحمة وصفه، و"الرحيم" أي: الراحم لعباده.
فهو أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا، بل
ومن أنفسنا.

ذكر البخاري في كتابه «الأدب المفرد»: أن رجلاً جاء ومعه صبي
يضمه إلى صدره إلى النبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: «أَتَرْحَمُهُ؟»، قال: نعم، قال:
«فَاللَّهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» [حديث صحيح].

اسم الرحمن ﷻ مُختصُّ به، لا يجوز أن يسمى به أحد غير الله ﷻ،
ولا يوصف به غيره؛ ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به اسم الجلالة الذي لا يشركه فيه غيره؛
حتى قال بعضهم: هو الاسم الأعظم.

وأما اسم الرحيم؛ فيجوز وصف المخلوق به كقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ



جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رجل رحمان.

□ ورحمة الله نوعان:

رحمة عامة: وهي لجميع الخلائق؛ فكل الخلق مرحومون برحمة الله، بإيجادهم وتربيتهم، ورزقهم، وغير ذلك من النعم التي لا تحصى.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٦٦﴾ [الإسراء: ٦٦].

ورحمة خاصة: التي تكون بها سعادة الدنيا والآخرة، وهي لا تكون إلا لخواص عباده المؤمنين؛ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٢١].

□ إنه الرحمن..

أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأولى من شكر على إحسانه ورحمته. فأينما تول وجهك تر رحمة الله في هذا الكون، وأعظمها في هذا الكون: الوحي المنزل؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

إذا أجدبت الأرض، ومات الزرع، وجف الضرع، واشتد البلاء؛ نزلت

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

الرحمات؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ

الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ [الشورى: ٢٨].

عندما حل العذاب، وبكى الرجال، وصاحت النساء، وفزعت الأطفال،

وعم الرعب، وعظم الفزع؛ نزلت الرحمات على عباده المخلصين؛ ﴿وَلَمَّا جَاءَ

أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: ٩٤].

لا عبور لأي رغبة إلا من طريق الرحمن، ولا وجود لأي حاجة إلا في

ساحة الرحمن، لا إمكانية لحدوث شيء إلا بالرحمن؛ فإنه وحده الرحمن

الذي لا حول في الوجود ولا قوة إلا به ﷻ .

فبرحمته أرسل إلينا رسله.

وبرحمته أنزل علينا كتبه.

وبرحمته هدانا من الضلالة.

وبرحمته أرشدنا من العمى.

وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم.

وبرحمته سخر الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض.

وبرحمته خلقت الجنة، وعمرت بأهلها، وطاب عيشهم.

ومن رحمته: أنه خلق مئة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء



والأرض؛ فأنزل منها إلى الأرض رحمةً واحدةً، نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، بها تعطف الوالدة على ولدها، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه.

□ بشرى!

ولتسمع عن سعة رحمته: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ؛ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» [أخرجه مسلم].

وهذه الرحمات: رحمة بعزة وقوة وغلبة ومنعة، لا رحمة ضعف؛ ﴿وَإِنَّ

رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩].

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يُرْتَجَى وَيُؤْمَلُ

□ مفاتيح الرحمة:

هو الغني عنا وعن عبادتنا، لن ندخل الجنة إلا برحمته؛ حتى نبينا ﷺ، جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لَا، وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ».

فمن علم هذا؛ فعليه بعبودية الرجاء، والتعلق برحمة الله ﷻ، والسعي



إليها، وتكون بالتقوى والإيمان وأداء الطاعات.

فبذلك تُنال الرحمات؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وتُنال الرحمات بطاعة الله ﷻ والرسول ﷺ؛ لأن الله قال: ﴿وَاطِيعُوا

اللَّهِ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [١٣٢] [آل عمران: ١٣٢].

وتُنال بالإحسان؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] [الأعراف: ٥٦].

وتُنال بالاستغفار؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾ [٤٦] [النمل: ٤٦].

وتُنال بذكر الله ﷻ وبكثرة الدعاء.

وفي «سنن أبي داود» قال ﷺ: «دَعَاؤِ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو،

فَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ» [حديث حسن].

ولا ينال الرحمة إلا عباد الله الرحماء؛ لأن النبي ﷺ قال: «وَأَيْمًا

يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ» [أخرجه البخاري ومسلم]، فهذه مومس دخلت

الجنة برحمتها لكلب أصابه العطش؛ سقته بخفيها.



□ لا يثبُطك الشيطان!

ومن الناس من إذا ابتلي بالمصائب والأزمات والأحزان؛ تخلى عن إيمانه، ولم يتذكر بأن الله أرحم به من نفسه! فلا يطرق باب الرحمن، ولا يرجو رحمته، فإذا هو يقع في إغواء الشيطان، وربما أوصله إلى هلاك نفسه، والله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩].

وإياك أن تعتقد أن ذنبك مهما عظم هو أعظم من رحمة الله! إن الشيطان لا يريد منك إلا هذه، يريد: أن يكبر الذنب في عينيك، ويصغر رحمة الله.

ورحمة الله أوسع من ذنبك ومن كل ذنب؛ فالرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً وأكملهم بالمئة؛ علم الله صدق توبته فصدق الله ﷻ.

وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَاثِقٌ

وَمَا لِي بِبَابٍ غَيْرَ بَابِكَ مَدْخُلٌ

يقول ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥]، ما أعظمه من وعدٍ، وما أعظمه من وفدٍ، وما أجمله من شعور! جعلني الله وإياكم من هذا الوفد.

اللهم! إن لم نكن أهلاً أن نبلغ رحمتك؛ فإن رحمتك أهل أن تبلغنا، ورحمتك وسعت كل شيء؛ فلتسعننا رحمتك في الدنيا والآخرة؛ يا أرحم الراحمين!